obeikandl.com

رسائل الغزالي

obeikandl.com

إن المسائل التي تطرق إليها الغزالي في ميدان العقل والنقل كثيرة، ومن هذه ما يسمى بالرسائل، والذي وضح جوانب كثيرة من وجهة نظر عقلي بالاستناد إلى الشريعة ومن خلال الأويل والتفسير ليصل في نهاية المطاف إلى امتناع قارئه وإعطائه الإجابة الشافية وفق الأدلة المنطقية ، وهي المسائل التي تشغل أذهان العامة ويلاتبس على الآخرين تصورها وفق مدلولات عقلية ونقلية، فكانت هذه الرسائل زاداً معرفياً سواء في طريقة الأستدلال أو في طريقة الوصول إلى المعرفة عن طريق التفسير مدعماً آراؤه بأمثلة والشواهد وكذلك في المقصد الأسمى في أسماء الله الحسنى حيث يتطرق إلى بيان ذلك بقوله:

ذلك جائز إلا ما منع منه الشرع أو أشعر بما يستحيل معناه على الله سبحانه وتعالى، فأما ما لا مانع فيه، فإنه جائز، والذي ذهب إليه الأشعري أن ذلك موقوف على التوقيف، فلا يجوز أن يطلق في حق الله تعالى ما هو موصوف بمعناه إلا إذا أذن فيه، والمختار عندنا أن نفضل، ونقول: كل ما يرجع إلى الاسم، فذلك موقوف على الإذن، وما يرجع إلى الوصف فذلك لا يقف على الإذن بل الصادق منه مباح دون الكذب، ولا يفهم هذا إلا بعد فهم الفرق بين الاسم والوصف.

فنقول: الاسم هو اللفظ الموضوع للدلالة على المسمى، فزيد، مثلاً، اسمه زيد وهو في نفسه أبيض، وطويل.

ولكنه عدل عن اسمه، إذ اسمه زيد دون التطويل، والبياض، وكونه طويلاً أبيض لا يدل على أنه الطويل اسمه بل تسميتنا الولد قاسياً، وجامعاً لا يدل على أنه موصوف بمعاني هذه الأسماء بل دلالة

هذه الأسماء، وإن كانت معنوية عليه كدلالة قولنا: زيد، وعيسى، وما لا معنى له. بل إذا سميناه عبد الملك، فلسنا نعني به أنه عبد الملك، ولذلك نقول: عبد الملك اسم مفرد كعيسى، وزيد، وإذا ذكر في معرض الوصف كان مركباً، وكذلك عبد الله لذلك يجمع فيقال: عباد له، ولا يقال عباد الله.

وإذا فهمت معنى الاسم فاسم كل أحد ما سمي به نفسه أو سمّاه به وليّه من أبيه أو سيّده. والتسمية أعني وضع الاسم تصرف في المسمى ويستدعي ذلك ولاية، والولاية للإنسان على نفسه أو على عبده أو على ولده، فلذلك تكون التسميات إلى هؤلاء، ولذلك لو وضع غير هؤلاء اسماً على مسمى ربما أنكره المسمى، وغضب على المسمي، وإذا لم يكن لنا أن نسمي إنساناً أي لا نضع له اسماً فكيف نضع لله تعالى اسماً، وكذلك أسماء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معدوده وقد عدها وقال (إن لي أسماء: أحمد ومحمد والمقفي والماحي والعاقب ونبي التوبه ونبي الرحمة)[١٢١] وليس لنا أن نزيد على ذلك في معرض التسمية بل في معرض الإخبار عن وصفه، وعلى الجملة فهذه مسألة فقهية إذ هو نظر في إباحة لفظ وتحريمه.

فنقول: أما الدليل على المنع من وضع اسم الله سبحانه وتعالى، هو المنع من وضع اسم الرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يسمِّ به نفسه، ولا سماه به ربه تعالى ولا أبواه، وإذا منع في حق الرسول (صلى الله عليه

(١٢١) المقصد الأسنى لأسماء الله الحسنى.

openkandil.com

وسلم) بل في حق آحاد الخلق فهو في حق الله أولى، وهذا نوع قياس فقهي تبنى على مثله الأحكام الشرعية.

وأما دليل إباحة الوصف فهو أنه خبر عن أمر، والخبر ينقسم إلى صدق وكذب والشرع قد دلَّ على تحريم الكذب في الأصل، فالكذب حرام إلا بعارض ودل على إباحة الصدق، فالصدق حلال إلا بعارض، وكما أنه يجوز لنا أن نقول في زيد: إنه موجود، فكذلك في حق الله تعالى ورد به الشرع/ أو لم يرد ونقول إنه قديم، وإذا قدرنا أن الشرع لم يرد به، وكما أنّا لا نقول لزيد:

إنه طويل أشقر لأن ذلك ربما يبلغ زيداً، فيكرهه لأن فيه إيهام نقص فكذلك لا نقول في حق الله سبحانه وتعالى: ما يوهم نقصاً البته، فأما ما لا يوهم نقصاً، أو يدل على مدح، فذلك مطلق، ومباح بالدليل الذي أباح الصدق مع السلامة عن العوارض المحرّمة.

ولذلك قد يمنع من إطلاق لفظ، فإذا قرن به قرينه جوّزناه، فلا يجوز أن يقال لله سبحانه، وتعالى يا زارع يا حارث، ويجوز أن يقال: من وطئ فأمنى، فليس هو الحارث، وإنما الله تعالى وتقدس هو الحارث، ومن بث البذر فليس هو الزارع إنما الله تعالى هو الزارع ومن رمى فليس هو الرامي وإنما الله تعالى هو الرامي كما قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)[١٢٢] ولا نقول لله سبحانه وتعالى: يا مذل ونقول: يا

(١٢٢) سورة الأنفال آية ١٧.

obeikandl.com

معز، يا مذل فإنه إذا جمع بينهما كان وصف مدح إذ يدل على أن طرفي الأمور بيديه.

وكذلك في الدعاء ندعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى كما أمرنا به، وإذا جاوزنا الأسامي دعوناه بصفات المدح، والجلال، فلا نقول: يا موجود يا محرك يا مسكن بل نقول يا مقيل العثرات يا منزل البركات يا ميسر كل عسير وما يجري مجراه، كما أنا إذا نادينا إنسانا، فإما أن نناديه باسمه أو بصفة من صفات المدح كما نقول، يا شريف، يا فقيه، ولا نقول: يا طويل يا أبيض إلا إذا قصدنا الاستحقار، وأما إذا استخبرنا عن صفاته أخبرنا بأنه أبيض اللون أسود الشعر، ولا يذكر ما يكرهه إذ بلغه، وإن كان صدقاً لعارض الكراهية، وإنما يكره ما يقدّر فيه نقصاً.

فكذلك إذا استخبرنا عن محرك الأشياء، ومسكنها، ومسوّدها، مبيّضها قلنا:

هو الله سبحانه وتعالى، ولا نتوقف في نسبة الأفعال، والأوصاف إليه إلى إذن وارد فيه على الخصوص، بل الإذن قد ورد شرعاً في الصدق إلا ما يستثنى عنه بعارض، والله تعالى هو الموجود، والموجد، والمظهر، والمخفي، والمسعد، والمشقي، والمبقي، والمفني، وكل ذلك يجوز إطلاقه، إن لم يرد فيه توقيف.

فإن قيل: فلمَ لا يجوز أن يقال له: العارف، والعاقل، والفطن، والذكي، وما يجري مجراه.

قلنا: إنما المانع من هذا، وأمثاله ما فيه من إيهامات، وما فيه إيهام لا يجوز إلا بالإذن، كالصبور، والحليم، والرحيم، فإن فيه إيهاماً، ولكن الإذن قد ورد به، وأما هذا فلم يرد به الإذن، والإيهام فيه أن العاقل هو الذي له معرفة تعقله أي تمنعه إذ يقال: عَقَلَهُ عَقْلُهُ، والفطنة، والذكاء يشعران بسرعة الإدراك لما غاب عن المدرك، والمعرفة قد تشعر بسبق نكره، فلا يمنع عن إطلاق شيء منه إلا شيء مما ذكرناه، فإن حقق لفظ لا يوهم أصلاً بين المتفاهمين، ولم يرد الشرع بالمنع منه، فإنا نجوز إطلاقه قطعاً.

عودة النفس إلى البدن بعد مفارقتها عنه في القيامة:

وأمر ممكن غير مستحيل ولا ينبغي أن يتعجب منه، بل التعجب من تعلق النفس بالبدن في أول الأمر أظهر من تعجب عودها إليه بعد المفارقة، وتأثير النفس في البدن تأثير فعل وتسخير ولا برهان عن استحالة عودة هذا، وصيرورة هذا البدن مستعداً مرة أخرى بقبول تأثيره، وتسخيره، بقي هاهنا تعجب من ضعفاء العقول، وهو أن ذلك الاستعداد الإنساني يحصل قليلاً قليلاً بالتدريج من نطفة في قرار مكين ثم علقه إلى تمام الخلقة، وإذا لم يكن كذلك لا يقبل استعداد قبول التسخير، ودفع هذا التعجب أنّا قد بينّا أن ما هو ممكن بالتدريج إنما هو التوالد، وأما التوالد فلا يكون بالتدريج واجتماع الذكر والأنثى وبعد حمل وسفاد، وأن التوالد منه يكون دفعة واحدة، فإنه لم يوجد قِطّ مدرّ ولا تراب بعضه فأر وبعضه بالقوة قريب إلى حجم الفأر، وكذلك الذباب الذي يتولد في الصيف من العفونات يكون دفعة ولم

توجد عفونة تغيرت عن حالها، وصارت بالقوة قريبة إلى أن تستحيل ذباباً من غير مهلة، وتدريج، والنشأة الثانية تولديه من تلك الأجزاء التي كانت في الأصل، وإن تفرقت، وانخلعت صورها فيرد الله تعالى واهب الصور تلك الصور إلى موادها، ويحصل المزاج الخاص مرة أخرى، ولها نفس حدثت عند حدوث ذلك المزاج ابتداء فتعود بالتسخير، والتصرف إليها مع العلاقة التي بينهما مثال ذلك راكب سفينة غرقت السفينة، وتفرقت أجزاؤها، وانتقل الراكب بالسباحة إلى جزيرة ثم ترد تلك الأجزاء بعينها إلى الهيئة الأولى وتوطد وتؤكد عاد إليها راكب السفينة، وأجراها، وتصرف فيها كما شاء ولا يجب أن يستحق هذا الحشر، وجمع الأجزاء، والمزاج المجدد نفساً أخرى، فإن حدوث المزاج يستحق حدوث نفس له أما عود المزاج إلى الحالة الأولى، فلا يستحق إلا عود النفس إلى الحالة الأولى، وأما ظن ما ظن أن الأجزاء الأرضية لا تفي بذلك فظن وهم لا اعتبار بهما فمن قاس الإنسان، وأجزاء الأرضية التي فيها أجزاء الأرض، وأي مهندس استخرج بالمساحة ذلك الحد، وأما الاختلاف الراجع إلى ذلك في الكتب الإلهية في التوراة أن أهل الجنة يمكثون في النعيم خمسة عشر ألف سنة ثم يصيرون ملائكة، وأن أهل النار كذا أو أزيد ويصيرون شياطين، وفي الإنجيل أن الناس يحشرون، ملائكة لا يطعمون، ولا ينامون، ولا يشربون، ولا يتوالدون.

وفي القرآن أن الناس يحشرون كما خلقهم الله تعالى أول مرة كما قال تعالى (فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة)[١٢٣]

(١٢٣) سورة الإسراء ٥١.

obeikandl.com

وسؤال إبراهيم عليه الصلاة والسلام عن الله تعالى (رب أرني كيف تحيي الموتى)[١٢٤] حكاية منه "وقوله تعالى (أنَّى يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مئة عام ثم بعثه)[١٢٥]

وقلت أصحاب الكهف، وهو قوله تعالى (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) إلى قوله (ليعلموا أن وعد الله حق)[١٢٦] ودلائل هذه النشأة كانت ممكنة يجب الإيمان بها، وكان في قديم الدهر فيها اختلاف الناس، والأنبياء عليهم السلام يثبتون تلك بالبراهين، والأمثلة المحسوسة، والتعجب من النشأة الأولى أكثر من الأخرى إلا أن النشأة الأولى محسوسة مشاهدة معتاده فسقط التعجب، فإنا لو سمعنا أن إنساناً حرك نفسه فوق امرأة مراراً كما يحرك المخض، وخرج من أجزاءه شيء مثل زبد سيال، فيخفي ذلك الشيء في بعض أعضاء المرأة، ويبقى مدة على هذه الحالة ثم يصير علقة ثم العلقة تصير مضغة ثم المضغة تصير عظاماً ثم تكسى العظام لحماً ثم يحصل فيه الحركة ثم يخرج منه موضع لم يعهد خروج شيء منه على حاله لا يهلك أمه ولا يشق عليها في ولادته ثم يفتح عينيه ويحصل في ثدي الأم شيء مثل شراب مائع لم يكن قبل ذلك فيها، ويتغذى به الطفل إلى أن يصير هذا الطفل بالتدريج صاحب صناعات، واستنباطات، بل ربما هذا الشيء الذي أصله نطفة، وهو عند الولادة أضعف خلق الله يصير عن قريب ملكاً جباراً قهاراً يملك أكثر العالم ويتصرف فيه، فإن التعجب من ذلك

---

(١٢٤) سورة البقرة ٢٦.

(١٢٥) سورة البقرة ـ آية ٢٥٩

(١٢٦) سورة الكهف ١٩ ـ ٢٠.

obeikandl.com

أكثر، وأوفر من التعجب من النشأة الأخرى، والأصل أن كل شيء لم يشاهده الإنسان، ولم يعرف سببه له منه التعجب والتعجب هيئة تحصل للإنسان عند مشاهدة شيء لم يشاهده قبل ذلك أو سماع شيء لم يعرف سببه ولم يسمعه قبل ذلك.

أما تعلق النفس بالبدن كالحجاب لها عن حقائق الأمور، وبالموت ينكشف الغطاء كما قال الله تعالى (فكشفنا عنك غطاءك)[١٢٧] ومما يكشف له تأثير أعماله مما يقربه إلى الله تعالى ويبعده مقادير تلك الآثار وأن بعضها أرشد تأثيراً من البعض، ولا يمتنع في قدرة الله تعالى أن يجري سبباً يعرف الخلق في لحظة واحدة مقادير الأعمال بالإضافة إلى تأثيرها في التقريب، والإبعاد، فحد الميزان ما يتميز به الزيادة من النقصان، ومثاله في العالم المحسوس مختلف، فمنه الميزان المعروف، ومنه القبان للأثقال، والإسطرلاب لحركات الفلك والأوقات، والمسطرة للمقادير، والخطوط، والعروض لمقادير حركات الأصوات، فالميزان الحقيقي وإذا مثله الله عز وجل للحواس مثله بما شاء من هذه الأمثلة، أو غيرها فحقيقة الميزان وحده موجودة في جميع ذلك، وهو ما يعرف به الزيادة من النقصان وصورته تكون مقدرة للحس عند التشكيل، وللخيال عند التمثيل، والله أعلم مما يقدره من صنوف التشكيلات، والتصديق بجميع ذلك واجب[١٢٨].

---

(١٢٧) سورة ق آية ٢٢.

(١٢٨) القسطاس المستقيم ـ الغزالي ـ ص٧٥

obeikandi.com

ففي الحساب جمع متفرقات المقادير، وتصريف مبلغها، وما من إنسان إلا وله أعمال متفرقة نافعة، وضارة، ومقربة، ومبعدة لا تعرف، فذلكتها، وقد لا تحصر آحاد متفرقاتها، فإذا حصرت المتفرقات، وجمع مبلغها كان حساباً، فإن كان في قدرة الله تعالى أن يكشف لحظة واحدة للعالمين متفرقات أعمالهم ومبلغ آثارهم، فهو أسرع الحاسبين، ومعلوم أن قدرته ذلك، فإذن هو أسرع الحاسبين قطعاً، وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: كيف يحاسب الله الخلق في لحظة من غير تشويش ولا غلط فقال رضي الله عنه:

كما يرزقهم مع سائر الحيوانات بلا تشويش ولا غلط.

وفي الصراط، وما قيل فيه أنه مثل الشعرة في الدقة فهو ظلم في وصفه بل أدق من الشعر بل لا مناسبة بين دقته، ودقة الشعر، وحدته وحدة السيف كما لا مناسبة في الدقة بين الخط الهندسي الفاصل بين الظل، والشمس الذي ليس من الظل، ولا من الشمس وبين دقة الشعر، ودقة الصراط مثل دقة الخط الهندسي الذي لا عرض له أصلاً لأنه على مثال الصراط المستقيم، والصراط المستقيم عبارة عن الوسط الحقيقي بين الأخلاق المتضادة لذلك بين الله بهذا الدعاء في سورة الفاتحة حيث قال (إهدنا الصراط المستقيم)[١٢٩] وفي حق المصطفى صلوات الله عليه (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم)[١٣٠] وقال صلى الله عليه وسلم (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) وقال تعالى شأنه (وإنك لعلى خلق عظيم)[١٣١]

---

(١٢٩) سورة الفاتحة آية ٦.

(١٣٠) سورة الشورى آية ٥٢.

(١٣١) سورة القلم آية ٤

obeikandl.com

مثال ذلك السخاوة بين التبذير، والبخل، والشجاعة بين التهور، والجبن، والاقتصاد بين الإسراف، والإقتتار، والتواضع بين التكبر، والدناءة، والعفة بين الشهوة، والخمود، فهذه الأخلاق لها طرف إفراط، وطرف تقصير، وهما مذمومان، والوسط ليس من الإفراط، ولا من التقصير، فهو على غاية البعد من كل طرف، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم " خير الأمور أوساطها " مثال ذلك الوسط الخط الهندسي الفاصل بين الظل والشمس لا من الظل، ولا من الشمس، والتحقيق في ذلك أن كمال الآدمي في المشابهة بالملائكة، وهم منفكون عن هذه الأوصاف المضادة وليس في إمكان الإنسان الانفكاك عنها بالكلية، فكلفه الله تعالى بما يشبه الإنفكاك، وإن لم يكن حقيقة الإنفكاك، وهو الوسط فإن الفاتر لا حار، ولا بارد والعودي لا أبيض، ولا أسود، فالبخل والتبذير من صفات الإنسان.

والمقتصد السخي كأنه لا بخيل، ولا مبذر، فالصراط المستقيم، وهو الوسط الحق بين الطرفين الذي لا ميل فيه إلى أحد الجانبين، وهو أدق من الشعر، فالذي يطلب غاية البعد من الطرفين يكون على الوسط، ولو فرضنا حلقة حديد محماة بالنار وقعت نملة فيها وهي تهرب بطبعها من الحرارة، فلا تموت إلا على المركز لأنه الوسط الذي هو غاية البعد من المحيط المحرق، وتلك النقطة لا عرض لها، فإذا الصراط المستقيم هو الوسط بين الطرفين، ولا عرض له فهو أدق من الشعر، ولذلك خرج عن القدرة البشرية الوقوف عليه، فلا جرم بورود أمثالنا النار بقدر ميله عنه كما قال تعالى:

(وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً)[١٣٢] وقال تعالى (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل)[١٣٣] فإن العدل بين المرأتين في المحبة، والوقوف على درجة وسطى لا ميل فيه إلى إحداهما كيف يدخل تحت الإمكان، فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم الذي يحكي الله تعالى حقيقة عن النبي صلى الله عليه وسلم (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه)[١٣٤] مر على صراط الآخرة مستوياً من غير ميل لأنه في هذا العالم عود نفسه التحفظ عن الميل، فصار ذلك وصفاً طبيعياً له، فإن العادة طبيعة خامسة، هذا حق قطعاً كما ورد به الشرح، وجاء في الحديث (يمر المؤمن على الصراط كالبرق الخاطف)

أما في الجنان: اللذات المحسوسة الموجودة في الجنان من أكل، وشرب، ونكاح يجب التصديق بها لإمكانها وهي حسي، وخيالي، وعقلي.

فالحسي، فبعد رد الروح إلى البدن كما ذكرناه، وأما الكلام في أن بعض هذه اللذات مما لا يرغب فيها مثل اللبن، والإستبرق، والطلح المنضود، والسدر المخضود، فهذا مما خوطب به جماعة يعظم ذلك في أعينهم، ويشتهونه غاية الشهوة، وفي كل صنف، وكل أقليم مطاعم، ومشارب، وملابس تخص بقوم دون قوم، ولكل واحد في الجنة ما يشتهيه كما قال تعالى:

---

(١٣٢) سورة مريم آية ٧١.

(١٣٣) سورة النساء آية ١٢٩.

(١٣٤) سورة الأنعام آية ١٥٣.

obeikandl.com

(ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما توعدون)[١٣٥] وربما يعظم الله تعالى الآخرة شهوة لا تكون تلك الشهوة معظمة في دار الدنيا كالنظر إلى ذات الله تعالى، فإن الشهوة، والرغبة الصادقة فيها في الآخرة دون الدنيا وأما الخيالي، فلا يخفى إمكانه، ولذته كما في النوم إلا أنه مستحقر لإنقطاعه عن قريب، فلو كانت دائمة لم يدرك فرق بين الخيالي والحسي، لأن التذاذ الإنسان بالصور من حيث انطباعها في الخيال، والحس لا من حيث وجودها من خارج، فلو وجد من خارج ولم يوجد في حسه بالانطباع، فلا لذة، ولو بقي المنطبع في الحس، وعدم الخارج لدامت اللذة، وللقوة المتخيلة قدرة على اختراع الصور في هذا العالم إلا أن صورها المخترعة متخيلة، وليست بمحسوسة، ولا منطبعة في القوة، والباصرة، فلذلك لو اخترع صورة جميلة في غاية الجمال، وتوهم حضورها ومشاهدتها لم تعظم لذته لأنه ليس يصير مبصراً كما في النوم، فلو كانت له قوة على تصويرها في القوة الباصرة كما له قوة على تصويرها في القوة المتخيلة لعظمت لذته، ونزلت منزلة الصورة الموجودة من خارج، ولا تفارق الدنيا في هذا المعنى إلا من حيث كمال القدرة على تصوير الصورة في القوة الباصرة، وكل ما يشتهيه يحضر عنده في الحال، فتكون شهوته بسبب تخيله، وتخيله بسبب إبصاره أي سبب انطباعه في القوة الباصرة، فلا يحضر بباله شيء يميل إليه إلا ويوجد في الحال أي يوجد بحيث يراه، وإليه الإشارة بقوله عليه الصلاة والسلام: (**إن في الجنة سوقاً تباع فيه الصور**)

---

(١٣٥) سورة فصلت آية ٣١.

obeikandl.com

والصور عبارة عن اللطف الإلهي الذي هو منبع القدرة على اختراع الصور بحسب المشيئة، وانطباع القوة الباصرة بها انطباعاً ثابتاً إلى دوام المشيئة لا انطباعاً هو معرض للزوال من غير اختيار كما في النور في هذا العالم، وهذه القدرة أوسع، وأكمل من القدرة على الإيجاد خارج الحس لأن الموجود من خارج الحس لا يوجد في مكانين، وإذا صار مشغولاً باجتماع واحد، ومشاهدته، وممارسته صار مشغوفاً به محجوباً عن غيره، وأما هذا، فيتسع اتساعاً لا ضيق فيه، ولا منع، حتى إذا اشتهى مشاهدة الشيء مثلاً ألف شخص في ألف مكان في حالة واحدة لشاهدوه كما خطر ببالهم في أماكنهم المختلفة، وأما الأبصار الحاصل عن شخص الشيء الموجود من خارج الحس لا يكون إلا في مكان واحد وحمل أمر الآخرة على ما هو أوسع، وأتم للشهوات، وأوفق بها أولى، ولا نقص في قدرة الإيجاد.

أما الوجه الثالث (فهو الوجود العقلي)، فإن تكون هذه المحسوسات أمثلة للذات العقلية التي ليست بمحسوسة لكن العقليات تنقسم إلى أنواع كثيرة مختلفة اللذات كالحسيات، فتكون الحسيات أمثلة لها، وكل واحد يكون مثالاً للذة أخرى مما رتبته في العقليات توازي رتبة المثال في الحسيات، فإنه لو رأى في المنام الخضرة، والماء الجاري، والوجه الحسن والأنهار المطردة باللبن، والعسل، والخمرة، والأشجار المزينة بالجواهر، واليواقيت، واللآلئ، والقصور المبنية من الذهب، والفضة، والسرر المرصعة بالجواهر، والغلمان الماثلين بين يديه للخدمة لكان المعبر يفسر ذلك بالسرور، ولا يحمله على نوع واحد بل

يحمل كل واحد على نوع آخر من أنواع السرور، وقرة العين يرجع بعضه إلى سرور العلم، وكشف المعلومات، وبعضه إلى سرور المملكة، ونفاذ الأمر، وبعضه إلى قهر العداء، وبعضه إلى مشاهدة الأصدقاء، وإن شمل الجميع اسم اللذة والسرور فهي مختلفة المراتب مختلفة الذوق لكل واحد مذاق يفارق الآخر فكذلك اللذات العقلية ينبغي أن تفهم كذلك، وإن كان مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فجميع هذه الأقسام ممكنة، فيجوز أن يجمع بين الكل لواحد، ويجوز أن يكون نصيب كل واحد بقدر استعداده، فالمشغوف بالتقليد، والجمود على الصور الذي لم تنفتح له طرق الحقائق تمثل له هذه الصور، واللذات، والعارفون المستصغرون لعالم الصور، واللذات المحسوسة يفتح لهم من لطائف السرور واللذات العقلية ما يليق بهم ويشفي شرههم وشهوتهم، إذ حد الجنة أن فيها لكل امرئ ما يشتهيه، وإذا اختلفت الشهوات لم يبعد أن تختلف العقليات، واللذات، والقدرة واسعة، والقوة البشرية عن الإحاطة بعجائب القدرة قاصرة، والرحمة الإلهية ألقت بواسطة النبوة إلى كافة الخلق القدر الذي احتملته أفهامهم فيجب التصديق به بما فهموه، والإقرار بما وراء منتهى الفهم في أمور تليق بالكرم الإلهي، ولا تدرك بالفهم البشري وإنما يدرك ذلك في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

أما التقرب لمشاهدة الأنبياء، والأئمة عليهم الصلاة، والسلام، فإن المقصود منه الزيارة، والاستمداد من سؤال المغفرة، وقضاء الحوائج من أزواج الأنبياء، والأئمة عليهم الصلاة، والسلام، والعبارة عن هذا

الإمداد الشفاعة، وهذا يحصل من جهتين: الاستمداد من هذا الجانب، والإمداد من الجانب الآخر، ولزيادة المشاهد أثر عظيم في هذين الركنين أما الاستمداد، فهو بانصراف همة صاحب الحاجة باستيلاء ذكر الشفيع، والمزور على الخاطر حتى تصير كلية همته مستغرقة في ذلك، ويقبل بكليته على ذكره، وخطوره بباله، وهذه الحالة سبب منه لروح ذلك الشفيع، أو المزور حتى تمده تلك الروح الطيبة بما يستمد منها، ومن أقبل في الدنيا بهمته، وكليته على إنسان في دار الدنيا، فإن ذلك الإنسان يحس بإقبال ذلك المقبل عليه، ويخبره بذلك، فمن لم يكن في هذا العالم، فهو أولى بالتنبيه، وهو مهيأ لذلك التنبيه، فإن إطلاع من هو خارج عن أحوال العالم إلى بعض لأحوال العالم ممكن كما يطلع في المنام على أحوال من هو في الآخرة أهو مثاب أو معاقب، فإن النوم صنو الموت، فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم نكن مستعدين في حالة اليقظة لها، فكذلك من وصل إلى الدار الآخرة، ومات موتاً حقيقياً كان بالإطلاع على هذا العالم أولى، وأحرى، فأما كلية الأحوال لهذا العالم في جميع الأوقات لم تكن مندرجة في سلك معرفتهم كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا، ولآحاد المعارف معينات، ومخصصات منها همة صاحب الحاجة، وهي استيلاء صاحب تلك الروح العزيزة على صاحب الحاجة، وكما تؤثر مشاهدة صورة الحي في حضور ذكره، وخطور نفسه بالبال، فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت، ومشاهدة تربته التي هي حجاب قالبه، فإن أثر الميت في النفس عند غيبة قالبه، ومشهده ليس كأثره في حال حضوره، ومشاهدة قالبه، ومشهده، ومن ظن أنه

قادر على أن يحضر في نفس الوقت ذلك الميت عنده غيبة مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده، فذلك ظن خطأ، فإن للمشاهدة أثراً بيّناً ليس للغيبة مثله، ومن استعان في الغيبة بذلك الميت لم تكن هذه الاستعانة أيضاً جزافاً ولا تخلو من أثر كما قال النبي عليه الصلاة والسلام (من صلى عليّ مرة صليت عليه عشراً) (ومن أجاب المؤذن حلت له شفاعتي) (ومن زار قبري حلت عليه شفاعتي) فالتقرب بقالبه الذي هو أخص الخواص به وسيلة تامة متقاضية للشفاعة، والتقرب بولده الذي هو بضعة منه ولو بعد توالد، وتناسل، والتقرب بمشهده، ومسجده، وبلدته، وعصاه، وسوطه، وبغلة، وعضادته، والتقرب بعادته، وسيرته، والتقرب، بكل ماله منها مناسبة إليه تقرب موجب للقرب إليه مقتض لشفاعته، فإنه لا فرق عند الأنبياء في كونهم في دار الدنيا، وفي كونهم في دار الآخرة لا في طريق المعرفة، فإن آلة المعرفة في الدنيا الحواس الظاهرة، وفي العقبى آلة يعرف بها الغيب إما في كسوة مثال، وإما على سبيل التصريح، وأما الأحوال الأخر في التقرب، والقرب، والشفاعة، فلا تتغير، والركن الأعظم في هذا الباب الإمداد والاهتمام من جهة المدد، وإن لم يشعر صاحب الوسيلة بذلك المدد، فإنه لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عضادته، أو سوطه على قبر عاص، ومذنب نجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب، وإن كان في دار إنسان أو بلدة لا يصيب تلك الدار، وأهلها، وتلك البلدة، وسكانها ببركاتها بلاء وإن لم يشعر بها صاحب الدار، وساكن البلدة، فإن اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو في العقبى مصروف إلى ما هو به منسوب، دفع المكاره، والأمراض، والعقوبات

obeikandl.com

مفوضة من جهة الله تعالى إلى الملائكة، وكل ملك حريص على إسعاف ما حرص النبي صلوات الله عليه بهمته إليه من غيره كما كان في حال حياته، فإن تقرب الملائكة بروحه المقدسة بعد موته أزيد من تقربهم به في حال حياته.

فالملائكة عليهم السلام يعظمون النبي، فإذا رأوا ذخائره في دار، أو بلدة، أو قبر عظموا صاحبه، وخففوا عليه العذاب، ولذلك السبب ينفع الموتى أن توضع على قبورهم المصاحف، ويتلى القرآن على رؤوس قبورهم ويكتب القرآن على قراطيس وتوضع القراطيس في أيدي الموتى فهذه أنواع المناسبات على حسب حال من يريد أن يسوي كل مسموع، ومشروع على قضية معقولة، والأصل في ذلك أن وراء ما يتصوره العقلاء أمور ورد الشرع بها ولا يعلم حقائقها إلا الله تعالى، والأنبياء الذين هم وسائط بين الله تعالى، وبين عباده، وإن اجتمع الحذاق وتفكروا في الشكل الموضوع على مناسبة الإعداد لسهولة الولادة حالة الطلق ما عرفوا تلك الخاصية، فكيف يطمع الإنسان أن يعرف حقائق ما ورد به الشرع من الأوامر، والنواهي، والأخبار، والوعد والوعيد، وغير ذلك، والعقل الضعيف، وتصرفه مختصر بالإضافة إلى تلك العجائب، والخواص.